Université
Aboubekr Belkaïd
Tlemcen

جامعة
أبو بكر بلقايد

حصة تطبيق مقياس

انتربولوجية اشكال التعبير الشعبي

الدكتورة بكوش المولودة قشيوش نصيرة

جامعة تلمسان

Mars 2020

مقدمـة

منذ أن وجد الانسان على الأرض، وهو يحاول ان يبدع في كل يوم شيئا جديدا، يؤكد به وجوده ويعبر به عن قدراته المختلفة، سواء أكانت عقلية أم حسية أم وجدانية. وقد استطاع الانسان من خلال ممارسة هذه القدرات، أن يكون شكل الثقافة التي تعبر عن ذاته، كما انه استطاع ان ينظم علاقاته بالآخرين الذين يشاركونه في الحياة.

تحمل مكونات ثقافة الانسان كل معرفة وخبرة مارسها سواء اكانت ناتجة عن تجاربه وتصوراته، او انتقلت اليه عن طريق ممارسته اليومية استطاع ان يعدل فيها ليظهر اثارها في أنماط سلوكية وعادات وعلاقات وتذوق جمالي، وما يؤمن به من معتقدات وما يلتزم به من عادات وتقاليد، وما يتبعه من نظم اجتماعية وما يستخدمه من لغة كوسيلة للاتصال بالآخرين.

لقد استطاع الانسان ان ينقل مأثوراته وما أبدع الى الأجيال التالية. وقد استخدم النقل الشفاهي كأحد الوسائل المستخدمة في تعليم التراث ونقله الى الأجيال

المتعاقبة، كما نقل أيضا كل ما صدر عنه من أفعال وسلوكيات يعبر بها عن قيمه وانتماءه وهويته.

. وقد اعتبر وليام باسكوم ان تسجيل مواد التراث الشعبي في حد ذاته يعتبر أداة معينة مفيدة للباحث الأنثروبولوجي على وجه العموم فهو يستطيع عن طريقها معرفة العادات والتقاليد والعرف والقيم والكثير من الجوانب الثقافية والاجتماعية للجماعات التي يدرسها كما انها تعتبر بمثابة مرشد له وموجه لمزيد من الدراسة وتامل مضمون الثقافة التي يدرسها. كما تقدم له أسلوب معيشة الناس الذين يدرسهم بصورة محايدة لا تنطوي على شيء من التعصب بحيث يستطيع ان يرى الأشياء بعين أبناء الثقافة أنفسهم وهذا يجب ان يصدق على كل الأنثروبولوجيين والفلكلوريين الذين يؤمنون بجمع المعلومات الاثنوجرافية اثناء الدراسات الحقلية.

وفي هذه الحصة الخاصة بالتطبيق في مقياس أنثروبولوجية أشكال التعبير الشعبي "سنجمع بعض النماذج من التراث وبالذات من الحكاية الشعبية والامثال الشعبية التي استعملها الشعب، ليعبر بها عن قيمه ومثله وتجاربه وافكاره ومعتقداته، ونحاول ان **نقدم لها قراءة أنثروبولوجية.**

واليكم بعض النماذج:

أولا: قراءة أنثروبولوجية للحكاية الشعبية

الحكاية الشعبية لا تُقصّ من أجل التّسلية أو الترفيه فحسب، بل إنّ الشعب أو الجماعات الشعبية التي أبدعتْها أرادت أن تنقُل خلالها ما تُريد أن تقوله إمّا بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وليتصوّر فيها خيالها وليعرض من السّرد وقائع الحياة والشخصيات كما تتخيّلها لا كما هي بالفعل أو كما ينبغي أن تكون ويأخذ الطفل الكثير ممّا تتضمنه الحكاية الشعبية ويتعرّف على العادات والتّقاليد وأسلوب الحياة، والأحداث الخاصّة بفترات قد لا يسجّلها التّاريخ ولكن سجّلنها الحكاية الشعبية كتاريخ ثقافي. والحكاية الشعبية كما يقول هيكسو فيتز Herscovits ليست مجرّد تعبير أدبي عند النّاس وإنّما في الحقيقة تعطي صورة عن حياتهم.

ولقد اهتمّ الكثير من الأنثروبولوجيين بالحكاية الشعبية واهتمامهم بها يرجع إلى دراستهم عن تأثيرها في الجماعة والوحدة الاجتماعية، وفي الدّور الذي تلعبه في الثقافة. فتعد الحكاية وسيلة لتثقيف الطّفل، ونقل المعلومات له وتعرّفه بأنماط متنوّعة من خبرات وتجارب الحياة. إضافة إلى أنه ينهل منها عبر

ومُثل وقيّم إيجابية كالشجاعة والصّبر، والتّضحية بالنّفس والفداء ومساعدة المحتاج وغيرها... كما تجعله يبتعد عن القيم السلبية كالحقد والغيرة والكذب والغش الخ. أي أنّ الحكاية الشعبية تحمل دروسًا في الأخلاق.

ومن الوظائف الهامة للحكاية الشعبية أيضًا – أنّه مهما كان عُمْرُ المتلقّي – فإنّه سيجدُ فيها تنفّسًا من كلّ أنواع الضّغوط الاجتماعية، حيث تتوارى الأهداف البعيدة المكبوتة في اللاّشعور خلف الحكاية.

وتعتبر الحكاية الشعبية من أهم طرق التربية والتنشئة الاجتماعية للطفل والدليل على ذلك اهتمام العديد من المربين والاختصاصيين النفسيين والاجتماعيين بفنّ الحكاية واعتبارها كأداة ووسيلة لتعليم الطّفل وتربية وتطوير مداركه وتصحيح سلوكه خاصّة في المرحلة الأولى من عمره أي قبل دخوله إلى المدرسة، وتعوّده على الانتباه، وحسن الاتصالات والاستمتاع والإدراك والفهم. إضافة إلى أنّها تعمل أيضا على تربيته نفسيًا، فيرتاح لسماعها، ويبتعد عن التمرّد والعصيان والصّراع مع اخوته. فهي تُهذّبُهُ وتهدّئهُ وغالبًا ما ينام قبل نهاية الحكاية.

وتعمل الحكاية الشعبية أيضًا على تقوية الرّوابط الاجتماعية، فيشترك الأطفال مع أبناء أعمامهم وعمّاتهم في سماع الحكايات من جدّتهم، ويعتادُون على ذلك النّمط من العيش.

حكاية بنت السلطان

كان يا مكان في قديم الزمان ولا يحلى الكلام الا بعد ذكر النبي عليه الصلاة والسلام. ذات يوم كانت اميرة تمشط لأبيها شعره فوجدت قملة، فرباها السلطان وبعدها جلد بجلدها بنديرا، ثم جمع مجموعة من الشباب وقال لهم يا معشر الشباب من يفك هدا اللغز سيعرف جلد هذا البنديرء وعندها سأزوجه من ابنتي الاميرة. يقول اللغز "تبات بلا سرير وتسكن غير فالحرير"."

فبدا كل واحد يفكر، وفجأة ظهر شاب وسيم جميل حسن المظهر يرتدي برنسا ابيضا راكبا فرسا، فراته الاميرة من النافذة فاعجبها وتمنت ان يكون من نصيبها، فأعطت له إشارة «قتل القملة بالإبهامين ". فسكت الشاب الوسيم مليا ثم قال انها القملة يا مولاي. أعجب الملك بذكاء وفطنة الشاب وزوجه من الاميرة واعطاه خيرا كثيرا. حمل الشاب الوسيم الاميرة على حصانه وذهب. وبينما هما في الطريق حل الليل فطلبا الضيافة من عجوز تسكن بيتا قديما. فاستقبلتهما بإكرام، وفي منتصف الليل تحول الشاب الوسيم الى جني واكل خرفان العجوز، وصبغ شفتي الاميرة بالدم وهي نائمة، ومزق كل الزرابي

التي صنعتها للسلطان وترك الاميرة عند العجوز ورحل. وفي الصباح الباكر عندما استيقظت العجوز بدأت تصرخ وتقول:" سيقطع السلطان راسي". فقالت لها الاميرة: "استري ماستر الله" سأشتري لك الخرفان، واعيد لك صناعة الزرابي، فانا اتقن هذه الحرفة. قامت الاميرة بهذه المهمة بإتقان وفرحت العجوز. وذات يوم جاء السلطان ليأخذ الزرابي فاندهش من جودة ومهارة تلك الصناعة وسال العجوز عن صاحب اليد العاملة، لكن العجوز اخفت عنه ذلك. لكن السلطان أصر على معرفة الحقيقة وقال لها انه سيقطع راسها، فخافت العجوز واخرجت الاميرة من الحجرة التي كانت تختفي داخلها وحكت له الحكاية. أعجب السلطان بالأميرة وطلب يدها للزواج. ووافقت وذهبت معه الى قصره. وكان للسلطان ثلاثة نساء لكن الاميرة كانت أجملهن، وأصغرهن وكان السلطان يحبها كثيرا ويفضلها عليهن. فانتابتهن الغيرة وبدان يدبرن لها مكيدة. مرت الأيام وحملت الاميرة من السلطان وجاء موعد الولادة، ففرح السلطان كثيرا وكان يتمنى ولدا يحمل اسمه ويرث عرشه، فطلب من زوجاته العاقرات ان تساعدن الاميرة في الولادة. وانجبت الاميرة ولدا لكن احدى زوجاته اخفت المولود ووضعت تحت الاميرة جروا(كلبا)، لكن زوجها الأول

الجني(الروحاني) حضر وخطف الولد دون ان يراه أحد وذهب. وبعدها نادت احدى الزوجات السلطان ولما دخل قالت له باستهزاء لقد انجبت زوجتك كلبا، فغضب السلطان كثيرا وخرج. من الحجرة دون ان يتحدث مع الاميرة.

بعد مرور عام حملت الاميرة مرت ثانية وتمنى السلطان ان تنجب له ولدا وعندما حان وقت الولادة طلب مرة ثانية من زوجاته ان تساعدنها في الولادة. لكن دبرت لها نفس المكيدة فاخفين الولد ووضعن تحتها جروا اخرا. لكن زوجها الأول الروحاني خطف الولد الثاني وذهب. فاستغربت الزوجات من فقدان الولدين لكن المهم انهن تخلصن منهما. وسيطلق السلطان الاميرة.

خرج السلطان يمشي في الشارع وهو حيران تائه فاذا به يسمع حديث الناس "واش هذ الحال من السلطان ولا يولد لكلاب"

غضب السلطان ;كثيرا وفكر في ان يذهب الى الحج. وعندما حان وقت الذهاب سال زوجاته ماذا تردن ان اشتري لكن من الحج فقالت نريد ذهبا وجوهرا وملابس جميلة. ثم سال الاميرة "وانت يا ولادة لكلاب "ماذا تريدين فقالت له جيبلي" حجرة الصبر وسكينة لغدر"

توجه السلطان الى الحج وبعد إتمام مناسكه اشترى ما طلبت منه الزوجات الثلاث، اما ما طلبته الاميرة فلم يعثر عليه. وقبل ان يعود بيوم واحد التقى بشيخ هرم يبيع الأعشاب في السوق فسأله عن حجرة الصبر فدله عليها قائلا له انها حجرة المغدور والمظلوم يا سيدي وعندما ينفذ الصبر يهلك ا لشخص. هذه الحجرة تبدأ تتفتت كلما يبكي الشخص، وعندما تنتهي يسقط السكين من السماء ويقطع راس الشخص المغدور. هذه حكاية حجرة الصبر فلا شك ان من طلبتها هي مظلومة يا سيدي. ولكن انصحك ان تضع كبشا امامك وعندما تتفتت كل الحجرة ازح المرأة وضع مكانها الخروف..

رجع السلطان الى داره وعمل بنصيحة الشيخ وبدأت الاميرة تبكي والحجرة تتفتت وعندما اوشكت على النهاية ازاح السلطان الاميرة ووضع مكانها كبشا وإذا بالسكين يقطع راسه وتنجو الاميرة.

ذهب السلطان الى زوجاته الثلاث وحلف بان يقطع رؤوسهن إذا لم يبحن له بالسر فحكين له الحقيقة فطلقهن. احضر الجني الولدين وجاء على صفة رجل وعرفته الاميرة لكن السلطان لم يعرفه. فأعطى له مالا كثيرا وذهب وعاشت الاميرة والسلطان والأولاد عيشة هنيئة وسعيدة

قراءة انتربولوجية لحكاية بنت السلطان:

تبدأ هذه الحكاية بمقدّمة استطلاعية واستفتاحية وجاءت بصيغة "كان يا مكان في قديم الزّمان" وهي تُرجع الطّفل إلى الزّمن الغابر، وصيغة "وما يحلى الكلام إلاّ بعد ذكر النبيّ عليه الصّلاة والسّلام" وهذه العبارة تعوّذه وتذكّره بالصّلاة على النبيّ في كلّ يوم وهي إشارة للانتماء للعقيدة الإسلامية والرّاوي يرغب في توصيلها وترسيخها للطّفل والحكاية هي الوسيلة لنقل هذه الرّسالة.

عندما يتلفّظ الرّاوي (المرسل) بنصّ الاستهلاك يُعلُ عن بداية فعل الحكي، ويُقابل المتلقّي (المرسل إليه) هذا الصّوت بالصّمت والسّكون والاستماع للرّوي ليحفظها عنه لأنّه اليوم هو متلقٍّ وغدًا سيصبح راوٍ.

"حكاية بنت السّلطان" هي رسالة، والتي هي عبارة عن مجموعة من الأفكار والمفاهيم والمهارات والمبادئ والقيم التي يرغب المرسل في توجيهها لمن همْ في حاجة إليها من الأفراد والجماعات.

"حكاية بنت السّلطان" مبنية على لغز، واللّغز هو اختبار ذكاء شخص ما في درجة معرفته، ويكون هذا الشخص خارج الجماعة، ويمثّل اللّغز في هذه الحالة "كلمة السرّ" التي تسمحُ بالدّخول في مجتمع مغلق. وتقول نبيلة إبراهيم،

فلا بدّ أن يكون الشّخص متطلّعًا عارفًا مثلهم، فهم يفتحون الطّريق لسائر البشر عن طريق حلّ الألغاز للدّخول في زمرتهم. وتُضيفُ قائلةُ "إنّ عادة طرح الألغاز للزّواج وفي أثناء الاحتفال بالعرس مثلا ما تزال تعيش بين بعض الشّعوب... وقد يُوحي الوصول إلى حلّ اللّغز إلى الزّوجين بأنّ هذا سيكون سبيلهما في حلّ نواحي الغموض التي ستكشف عنها حياتهما الزّوجية. ومن الممكن كذلك أن ينجم عن نجاحهما ففي حلّ الألغاز إحساس بالتّفاؤل لكبير بأنّهم سوف يُؤدّيان مهمّة الزّواج في نجاح تامٍّ. ومن ثمّ لمْ يكن حلُّ اللّغز سوى بداية طيبة لأداء هذه المُهمّة."

وتعكسُ "حكاية بن السّلطان" صفتين ذميمتين هُما الغش والخداع ويظهرُ هذا في تقديم الأميرة الحلّ للشّاب الوسيم (إشارة قتل القملة بالإبهامين) ليكون زوجًا لها. ولكن عن طريق هذا التصرف غير اللائق، نتج عنه مشاكل وأضرار للأميرة جعلها تعيش عيشة صعبة مليئة بالمحن والازمات. ومن هنا يستنبط الطّفل من هذه الحكاية أنّ كلّ شيء يُبنى على الغشّ والخداع مآله الفشل.

كذلك تقتحم هذه الحكاية المشكلات النفسية الأطفال وأهمّها الغيرة وما تُسبّبُهُ من حقد وغلّ وخداع وغشّ وانتقام (غيرة الزوجات الثلاث من الأميّة والانتقام

منها) فتتجلّى أمام الطّفل صورته النفسية ليعمل جاهدًا على تسويتها، ويُظهر نفسه من كل الصّفات الدنيئة فيجري ما يُجرى في المسرحية التي أشار أرسطُو.

كما تستطيع هذه الحكاية أن تزرع في المُتلقي عامّة وطّفل خاصّة بعض القيم الإيجابية كالشجاعة والمهارة والصّبر وانتصار المظلوم ويخرج الطّفل دائمًا بنتيجة بعد نهاية كل حكاية هو انتصار الخير على الشّر وتفوّق المظلوم على الظالم.

قائمة المصادر والمراجع

- عبد الحميد بورايو، القصص الشعبية في منطقة بسكرة، الجزائر، 1986.
- حسن عبد الحميد رشوان، الفلكلور والفنون الشعبية، الإسكندرية، 1993.
- فاروق أحمد مصطفى، مرفت العشماوي، دراسات في التراث الشعبي، دار المعرفة الجماعية، الإسكندرية، 2013.
- فاروق أحمد مصطفى، الأنثروبولوجيا ودراسة التراث الشعبي، دار المعرفة الجماعية، 2008.
- نبيلة إبراهيم، أشكال التّعبير في الأدب الشعبي، دار النهضة للطباعة والنشر، القاهرة،
- عبد التوّاب يوسف، الأدب الشعبي في عصر التلفزيون والفضاء، هل يتقبله الأطفال ويُقبلون عليه، نقلاً عن مجلّة الفنون الشعبية، العدد 24، 1988.

ثانيا: الامثال الشعبية

قراءة أنثروبولوجية لبعض النماذج:

أولا الامثال الشعبية الخاصة بالمرأة والغريزة الجنسية

1- "شمس لغيام يخرج النسا من الخيام"

2- "إلا مديت كراعي نجيب راع"

3- "خلات رجلها ممدود ومشات تطل على محمود".

تدل هذه الأمثال على نوعية خاصة للعلاقة بين المرأة والرجل، وتشير إلى ظاهرة اجتماعية عرفتها المجتمعات القديمة، ولازالت تعرفها بعض المجتمعات الحديثة، وخاصة مجتمعنا ألا وهي ظاهرة البغاء والخيانة الزوجية

إن المثل الأول يؤكد أن المبالغة في حرص الرجل على إبعاد زوجته عن الناس، لا يكون حلا ناجعا لمنعها عن الوصول إلى مبتغاها إذا لم تكن الزوجة نفسها قادرة على التحكم في غريزتها. ولهذا فإذا كانت السحابة أو الغيمة غير

قادرة على حجب أشعة الشمس فكذلك لا تستطيع الخيمة أو البيت حجب نظرات المرأة إلى خارجها، بمعنى أن المرأة التي لا يربطها شرفها أو عزتها، فلا شيء آخر يستطيع أن يمسكها عن تصرفاتها مهما كان نوعه.

كما أن المثل قد يوحي بدلالة أخرى وهي أن الرجل الذي يكثر من محاولة إبعاد زوجته عن الاختلاط، يتسبب بطريق غير مباشر في تشجيعها على مخالفته، وذلك ما يفهم من أن (الشمس المخبأة وراء السحابة) تتخلل أشعتها بالضرورة لتصل إلى الأرض، وكذلك فإن المرأة التي يحاول زوجها أن يسجنها داخل البيت سيدفعها هذا الإجحاف إلى التمرد ومن ثم إلى البغاء كرد فعل لقسوة الرجل وحرصه الشديد.

ويفهم من هذا أن لهذا المثل دلالتين:

الأولى: أن الغريزة الجنسية عند المرأة تضاهي قوة بزوغ الشمس، التي لا تستطيع السحابة حجبها عن الناس. مما يعني أن كل جهود الزوج لإبعاد زوجته عن الخيانة تبوء بالفشل إذا أرادت، أو على الأصح إذا شعرت بنوع من الإجحاف في حقها.

الثانية: أن الرجل قد يساهم بطريقة غير مباشرة في ارتكاب زوجته لخطيئة الزنا، وذلك نتيجة حرصه الشديد على حجبها عن الناس، إذ سيتحول هذا الحرص، حسب المثل، إلى نوع من رد الفعل العكسي عند الزوجة، فتحاول أن تكسر رغبة زوجها بالتمرد عليه، ومن ثم إلى التحرر.

ونخرج من هذا المثل إلى نتيجة تتمثل في أن لا جدوى من كل محاولات الرجل إبعاد المرأة عن الوقوع في الزنا إذا لم تكن المرأة نفسها راغبة في ذلك. إذ كما لا يعقل أن تحجب الخيمة ضوء الشمس فكذلك لا يعقل أن تحجب الخيمة جمال المرأة.

ولعل ما يؤكد تحدي المرأة للرجل ما جاء في المثل الثاني "إلا مديت كراعي نجيب راعي، فدلالة هذا المثل تشير بوضوح إلى أن أية محاولة من الرجل إلى كبت جماح المرأة عن إرضاء غريزتها. تبوء بالفشل، وذلك انطلاقا من أنها قادرة في أية لحظة استقطاب أو استجلاب المتعة من رجل غيره، بل قد يبلغ التحدي إلى أن تقوم بما يقوم به الصياد الذي يرمي بالسنارة) في البحر دون أن يهمه نوعية الصيد أيكون سمكة أو خيشة، فهي إذا انتابها هاجس تحدي زوجها فلا يهمها أن يكون البديل (راعيا) حقيرا.

هذا ما قد ينطبق على المرأة المتزوجة، كما أن هذا المثل قد ينطبق على المرأة العانس التي تردد هذا المثل إبعاد الشبهات عنها، فهي في تحديها لتساؤلات النساء عن سبب عناستها تواجههن بأنها ليست معنية بكل من هب ودب من الخطاب، إذ لو كان هذا مبتغاها لاكتفت بالموافقة على أول طارق يتقدم لطلب يدها.

نصل من قراءة هذين المثلين إلى أن العلاقة الزوجية بين الرجل والمرأة علاقة جدلية، فكلما حاول طرف منهما أن ينفرد بالسلطة كلما راح الطرف الثاني إلى تبني موقف مناقض من الطرف الأول، فمحاولة الرجل التمسك (في المثل الأول) بزمام الأمور دفع المرأة إلى استشفاف الخارج من وراء حجاب (الخيمة) فضلا عن أنها قادرة لأسباب غريزية على أن تحصل على مبتغاها في أية لحظة شاءت وذلك طبقا لمقولة المثل الثاني.

مما قد يفهم أن مكانة الغريزة الجنسية تبقى متميزة في العلاقة بين الرجل والمرأة. فعليها يقوم ميزان بناء الأسرة، وفي ضوئها يكون نجاح أو اختلال هذا التوازن، وإذا كان المثلان السابقان ينظران إلى تصرف المرأة بوصفها ضحية غيرة الرجل علها، وحرصه الشديد على الإنفراد بها دون غيره من

الذكور، شأنه في ذلك شأن سائر المخلوقات الحيوانية، إذ من الواضح أن الغريزة الجنسية تدفع بالحيوان الذكر إلى إبعاد جميع الذكور عن إناثه، فإن المثل الثالث "خلات رجلها ممدود ومشات تطل على محمود" يقلب المعادلة، إذ تصبح المرأة فيه جانية بعدما كانت ضحية، فهي التي تتخلى عن الرجل لتذهب إلى غيره طالبة المتعة

على أن هذا المثل لا يجعل من المرأة بطلة في ميدان التحدي بقدر ما يجعلها (حسب المثل نفسه) تستغل ضعف الذكر لتتمرد عليه، فهي لم تتحرك في أوقات قوته وإنما تحركت لما ألم به السقم أو المرض.

فهل يعني هذا أن المرأة تؤتمن؟ فهي في أثناء سلطة الرجل تلجأ إلى التمرد الخفي، وهي في أثناء ضعف الرجل تذهب علنا إلى غيره.

كما يبدو أن هذا ما شخصه الشاعر الشعبي عبد الرحمان مجدوب بقوله:

أحن النسا عرش تفاح من سدنا نجيوا في يده

إذا غابوا علينا اثنين ما زال الثالث نزيده

بعيني شفت لفقيرة تصلي وسبحتها فوق لحصيره

هي تخدع فرجلها وهو يقول مرات فقيره

ونخرج من كل ما سبق إلى أن صورة المرأة في المثل الشعبي قد أخذت أبعادا كثيرة تتلاقى في معظمها حول الطابع الشيطاني مما يوحي لنا بأن المرأة غريبة الأطوار، فهي في ضوء الذاكرة الشعبية قد تتحول بسهولة من ملك إلى شيطان في لحظة، كما أننا تستشف من الأمثال السابقة مكانة المرأة في الخيلة الشعبية، فهي في تصرفاتها تنتقل تحت تأثير الغريزة الجنسية، انتقال النحلة من زهرة إلى أخرى.

ويعني هذا كله أن هذه الأمثال وغيرها مما جاء فلي سلوك المرأة تنظر إلى المرأة لا بوصفها إنسانا مثلها مثل الرجل، وإنما هي تنظر إليها بوصفها أنثى، مما جعلها تبقى (في عين الرجل) مدر الموبقات والفواحش، ومع العلم أن المصدرية هنا لا يمكن أن تكون فردية، إذ لابد لتوفر شرط الزنا من تدخل الرجل الذي يحاول أن يتنكر عن الجناية تاركا المرأة وحدها تتحمل مسؤولية هذه التهمة

ذلك ما يتعلق بموضوع قوة غريزة المرأة في الأمثال الشعبية وصعوبة التحكم فيها، أما مكانة غريزة الرجل في هذا النوع من الأمثال الشعبية فيكاد

يكون مهمولا لا إذ لم نعثر إلا على أمثال قليلة لا تمس هذا الموضوع إلا مسا بسيطا، ولعل من أقربها إلى هذا الموضوع المثل الذي يقول:

"تبدال السروج راحة".

وكما هو واضح من دلالته المباشرة، فإن هذا المثل يشير إلى رغبة الرجل في تغيير الزوجات، وما تشبيه المرأة بالسرج إلا إشارة إلى أن المرأة في نظر الرجل مجرد مطية يركبها كما تركب الدابة مدة، ثم إذا شعر بالتعب أو بالسأم والملل غير السرج، قصد الراحة التي يطلبها الرجل من عملية تبديل النساء وقد تكون في شكل تعدد الزوجات.

وهذا ما سبق شرحه في الفصل الثاني، كما قد تكون من باب البحث عن إشباع الرغبة الجنسية عنده.

غير أن الذاكرة الشعبية ولأسباب تعود في أساسها إلى النظام الذكوري في المجتمع الجزائري، تفسر هذا المثل لصالح الرجل باعتباره حرا في طلب للمتعة لجنسية من مصادر متعددة، اتقاءا للسأم وطلبا للمتعة.

ثانيا: المرأة غير الصالحة.

ذلك كان فيما يتعلق بمشكلة الصراع بين المرأة والغريزة، وقد تجلى من خلال متابعة الأمثال المستشهد بها في هذا الموضوع، أن قوة الغريزة ليست قاصرة على المرأة دون الرجل، وإنما العرف الشعبي تجاهل دور غريزة الجنس عند الرجل، في حين وظف كل وسائل التشغيل في التركيز على مكانة الغريزة الجنسية عند المرأة، مما قد يفهم أن المرأة عبارة عن قوى غريزية متنقلة مثلها مثل الكرة المغناطيسية التي تجتذب إليها كل من حام حولها.

هذا الحكم جعل الذاكرة الشعبية تضع ميزانا لغربلة النساء، فمنهن (التي تتحكم في غرائزها ومنهن غير الصالحة وهي التي تنساق وراء غرائزها).

كما أصبح هذا الحكم مع مرور الوقت شبه قاعدة يرجع إليها قبل مشروع الزواج، بحيث صار أول مطلب يشترط توفره في زوجة المستقبل هو العفة لا بمعناها الخلقي وإنما بمعناها الجنسي، أي المرأة التي تستطيع حبس نفسها داخل بيت أبيها قبل الزواج، فلا تسمح لأي كان أن يبصرها أو أن تتكلم معه لأن أي إجراء من هذه الإجراءات يفسر على أنه بداية التبرج ومن ثم عدم صلاحية هذه المرأة للزواج.

ونظرا إلى حساسية هذا الموضوع فإن الذاكرة الشعبية قد احتفظت بأمثال شتى تدور حول نوعية المرأة الصالحة للزواج، ومن ثم معرفة خصائص المرأة غير الصالحة للزواج، يقول المثل:

"الحنة فاظفارها والناس جابت خبارها".

لعل أول ما يصدم قارئ هذا المثل هو كلمة "الحنة" (الحناء) التي عي من الكلمات ذات الأبعاد المختلفة في الثرات الشعبي إذ ارتبطت الحناء منذ القدم بالأفراح حتى صار يلقب اليوم الأول من أيام حفل الزفاف (بيوم الحنا) على أساس أن أهل العروس (يخضبون الحناء للعروس وقريناتها) في هذا اليوم، ويصاحب هذه العملية قيام قريبات العروس بالرقص والغناء طيلة هذا اليوم، في انتظار قدوم أهل العريس في الغد.

كما أنها استخدمت في إطار تجميل المرأة والعلاج من بعض الأمراض النفسية والعضوية.

ويفهم من هذا أن للحناء رموزا كثيرة تتفرع حسب لونها ووظيفتها في المجتمعات عموما وفي المجتمع الجزائري خصوصا، فلون الحناء يتميز بنوع من الحمرة التي تجلب الأبصار إليها، كما تجلب المرأة التي تخترق حجاب

بيت أبيها أو زوجها اهتمام المتطلعين من الذكور أو المتعطشين منهم إلى الممارسات الجنسية.

فالمماثلة واحدة، ولهذا ارتبطت الحناء بالتبرج عند المرأة في هذا المثل، وكأن الحناء ليست مجرد زينة، وإنما هي إشارة مباشرة إلى التقاء جمال الحناء بتبرج المرأة بل إن الربط بين الحناء والأخبار السيئة عن المرأة يعني أن بزوغ الحناء وظهورها على الأظافر كبزوغ الإشاعات حول تبرج المرأة.

كما قد يفهم من هذا المثل أن المرأة المتبرجة لا يمكنها أن تتأخر لحظة عن ممارسة عاداتها حتى بعد زواجها، إذ يؤكد المثل لنا أن الحناء التي تتجمل بها عادة العروس ليلة زفافها مازالت مرتسمة على أظافرها في حين وصلت الإشاعات عن تبرجها، ولعل هذا الصنف من النساء هو ما شبهه عبد الرحمان مجدوب أيضا بالحناء بقوله:

حب النساء كالحنا في الحين يفسخ لباسه.

وهذا ما قد يؤكده مثل آخر يشخص أعراض المرأة المتحررة، أي التي تسمح بنفسها بالظهور أمام الآخرين إذ يقول المثل:

"بنت الزنقة ما دير الدار".

يدل هذا المثل على نوعية خاصة من البنات اللواتي تجلن في الشوارع والأسواق أو بالمعنى الأصح بنات العائلات المتفتحة اللواتي تتمتعن بالحرية في أفعالهن وسلوكهن.

(فالزنقة): تدل على تسكع المرأة في الشوارع، أي عدم استقامتها في نظر حكمة المثل.

(الدار) تدل على التزام المرأة وامتثالها لأوامر العائلة.

ومعنى هذا أن بنت (الزنقة) غير صالحة للزواج لأنها تحمل صفات وسلوك تمنعها من تحقيق معناها الاجتماعي خصوصا عند العائلات المحافظة.

ذلك هو المفهوم المباشر لهذا المثل وهو كما يظهر للعيان يتماشى مع عقلية المجتمع الريفي الذي يقسم الوظيفة الاجتماعية بين الجنسين تقسيما يساير طبيعته: فمكانة المرأة هي الدار بكل ما فيها من مسؤولية منزلية وعائلية. أما مكانة الرجل فتقع خارج الدار: خدمة الأرض وضمان قوت العائلة، وبناءا على هذا العرف الريفي، فإن أي خرق لقاعدة التخصص يعد خرقا للعرف الاجتماعي.

بمعنى أن المرأة التي تحترم هذا العرف (المكوث في البيت) تصبح مقصاة من دائرة المجتمع، وتنسب إليها كل التهم التي تلتقي حول فقدان الشرف، وعليه فإن الرجل سيتجنب هذا النوع من النساء عند الإقبال على الزواج.

خاتمة

نخلص إلى تحديد شبه نظرية عرفية للزواج الناجح في المجتمع الجزائري، وتعتمد هذه النظرية على ركنين أساسيين:

1- ضرورة توفر شرط تستر المرأة

2- ضرورة توفر شرط البقاء في البيت قبل الزواج وفي أثنائه.

فهذان الشرطان يلتقيان في نقطة واحدة تتمثل في القيد العرفي المفروض على المرأة، سواء كان هذا القيد مكانيا كالبيت مثلا، أو كان رمزيا كالحشمة والحياء، بمعنى أن شرط نجاح زواج الرجل بالمرأة الصالحة يقوم على اختيار المرأة التي تحترم هذين الشرطين، فلا تتعداهما إلى محاولة إظهار زينتها للآخرين.

غير أن هذين الشرطين يجعلان المرأة مجرد دمية يلهو بها الرجل كما يلهو الطفل بلعبته، وهذا يعني أن المرأة طبقا لهذين المثلين، مازالت تعاني من

ضغط وسيطرة العرف التقليدي السائد في المجتمع الجزائري، وذلك على الرغم من أن حدة هذا التقليد بدأت تخف عند الأجيال المعاصرة.

المراجع:

1- سيموند فرويد: معالم التحليل النفسي، ديوان المطبوعات الجامعية، ترجمة محمد عثمان نجاتي، الجزائر، 1986، ص 49-54
2- عباس محمود العقاد، بين الكتب والناس، دار الفكر، القاهرة، 1979، ص 39.
3- عمر رضا كحالة، سلسلة بحوث اجتماعية، الزواج، ج1، سوريا، ص 236.
4- قادة بوتارن، الأمثال الشعبية، ديوان المطبوعات الجامعية، 1987، ص 153.
5- قاسم أمين، تحرير المرأة، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2013، ص60.
6- محمد إبراهيم شقرة، المجتمع الرباني، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، ط2، 1991، ص 63-65.
7- محمد عاطف غيث، تطبيقات في علم الاجتماع القروي، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، ص 329.
8- مصطفى بوتفنوشت، العائلة الجزائرية، التطور الخصائص الحديثة – ترجمة أحمد دمري – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر- 1984. ص 79.
9- ميلود بلبشير، الحكمة الشعبية في رباعيات الشيخ عبد الرحمان مجدوب، رسالة ماجستير، مكتبة معهد الثقافة الشعبية، ص 94-95.
10- نور الدين طولبي، في إشكالية المقدس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 106.
-11Henry de Castries : les Gromes sidi abderrahmane et mejdoub Eraest le roux editeur, Paris 1986, p 4, 19, 5.